

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله -تعالى اسمه-: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

هذه النقاط تلخص فلسفتي في الحياة وطريقتي في التفكير في كل الأمور، ومبادئ
وثوابتي الشخصيّة، قد تفيد البعض وقد يفضل البعض تجاهلها:

1- (الشك والفضول) أن نعلم أننا لا نعلم إلا قليلا (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)
وذلك يتضمّن الشكّ بكل ما تعلمناه (قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) والفضول في المعرفة والبحث عنها حتى إذا
جاءتك الحقيقة يوماً ما تكون متيقظاً لالتقاطها (فإنك لا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا
مدبرين. وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم).

2- (القدر والثنائيات) أنّ الكون هو توازن من الثنائيات المتقابلة (ومن كل شيء
خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وأنّ المقابل يحتوي مقابله بداخله دائماً مثل قول الحق:
(فإن مع العسر يسرا) وأنّ وحدة هذه المتقابلات هي قوانين الطبيعة وهي القدر
(وخلق كل شيء فقدره تقديراً) وأنّ كل تغيير له مسبب وكل فعل له رد فعل. ودراستنا
لهذه القوانين تطلعنا على "المسار الطبيعي" للعمليات.

3- (الشمول والاتساق) أنّ الكون يسير على قوانين ثابتة لا تتغير وتتّصف
بالشمول لكل أجزاء الكون (وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق وأجل مسمى)
والحق هو الصحيح الذي لا اختلاف فيه أي المتناسق والشامل، والأجل المسمى هو
الوقت أي الحركة والتغير. وهذا يعني أنّ الواقع المادي لا بدّ أن يتّصف بالاتساق
والشمول والتغير وفق مسارٍ طبيعيٍّ وهكذا الحقيقة. فالفرق بين الحقيقة والوهم أن
الحقيقة شاملة متسقة مطابقة للواقع ومتغيرة متطورة وفق مسارٍ طبيعيٍّ.

4- (التوحيد) أنّ الكون الذي يسير على قدرٍ معيّن وكل شيء فيه لأجل، إما أن
يكون واضح هذا القدر والأجل من الموجودات الخاضعة له أو هو أو خارجه. أمّا
الموجودات، فلا يعقل لأن الأجزاء خاضعة له فكيف توجد ما هي خاضعة له أصلاً.
وأما هو ذاته فلا يعقل لأنه مجرد عملية وليس موجوداً بذاته. فلا يبقى إلا من

خارجة، وحسب مفهوم الثنائيات فما كان من خارج الكون سيكون عكسه فالكون محدود وهو كامل والكون مخلوق وهو خالق والكون محتاج للسببية أما هو فلا يحتاج السببية وهو الله. (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير). وهذه الفكرة توحي أن كل شيء ينطلق من أصل واحد، ويستمدّ طاقته من مصدر واحد. الكون وحدة واحدة منسجمة ومتسقة في ما بينها.

5- (الاستدلال المادي) يعتمد معظم الناس في حكمهم على الأشياء على إحساسهم الداخلي وهذا غالباً هو سبب اختلاف الرأي بين الناس لأن هذا الإحساس هو الهوى وهو ينتج من خلال تراكمات التجارب الحياتية والتربية ومن خلال اتباع العادات التي رَوّض الشخص نفسه على حبها وهذا خللٌ كبير وهو مجانبٌ للحق والصواب وينكر الأدلة الواضحة فقط بسبب إحساسه الداخلي (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم) وذلك أن الأدلة القطعية هي فقط الأدلة التي تتمتع بالاتساق والشمول والانطباق على الواقع المادي. والانطباق على الواقع المادي يعرف بعدة طرق وهي: أ- الإحساس بالدليل مباشرة من خلال الحواس (قل أريتكم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات) ب- الدليل الثقلي الموثق الذي يحتوي أدلة تستطيع تجاوز التشكيك (انتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين) ج- التجربة تحت ظروف معيارية ثابتة (فإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) د- استدعاء شهاد يشهدون أنهم رأوا الدليل المادي بأنفسهم ويؤمن تواطؤهم على الكذب (وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين).

6- (الإسلام) الإنسان يبحث عن الحرية ويكره التقييد، ولكن عندما يأخذ كامل الحرية يفقد الاتجاه، مثل شخص في صحراء ملبدة بالغيوم لا يرى نجماً ولا شمساً، ولا شجرة ولا جبلاً، كل ما حوله مفتوح للسير بشكل كامل دون حدود، لن يسير، سيقف ويبحث عن حد ما ينطلق في مسيرته منه، الطاقة بحاجة للحدود، فهي تسير في قنوات. هذه الحدود وضعها الله في الطبيعة، ووضع ما يشابهها لتنظيم علاقات البشر فيما أرسله من أديان. وكلما تقدم الإنسان اكتشف أن معاندة الطبيعة تؤدي

إلى سيطرة الطبيعة وفشل الإنسان، وفهم الطبيعة والسير على قوانينها تسمح للإنسان بتطويعها واستخدامها لصالحه، ففهم قوانين ضغط الهواء وردود الفعل أتاحت لنا صنع الطائرات وركوب الهواء، ولهذا فإن "الاستسلام للطبيعة" هو الطريق لتطويعها. الاستسلام لله هو الطريق للوصول للسعادة، الاستسلام لله هو الإسلام.

الإسلام هو الدين الذي أوحى إلى محمد بن عبد الله وهو في مكة في غار حراء حيث أمر بالسير عليه كمنهج حياة ودعوة الناس كافة إلى ذلك وتوحيدهم على هذا الدين. وهو مبني على شقين، أولهما "لا إله إلا الله"، و"لا إله" أي نبذ كل المعتقدات كاملةً والتشكيك فيها، و"إلا الله" أي إثبات القوة العظمى التي تسيّر قوانين الكون والانصياع والاستسلام لها ولذلك اسمه الإسلام من الاستسلام لقوانين القدر الإلهية، وثانيهما هو "محمد رسول الله" أي الإيمان برسالة محمد وبما جاء به من تعاليم كجزء من تعليم الناس لقوانين القدر فيما يخص حياتهم ليستطيعوا الاستسلام لقوانين الطبيعة (قدر الله) بالصورة الصحيحة، وهذا ما يسمّى العبادة أي الخضوع للقوانين (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وليست الآية في معرض تحديد الغاية ولكنها تأكيد على أن طبيعة خلقهم تقتضي الخضوع لقوانين الله في الكون ليتمكنوا من النجاح، أما الغاية من خلقهم فهي المحبة والرحمة لأنه لا رحمن من دون مرحوم والله هو الرحمن، فخلق الأرض وخلق الإنسان عليها بهدف استخلافه واستعمارها فيها (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) لغاية إيجاد تناقضات وتفاعلات تتحقق من خلالها رحمته (إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) لأنه (كتب على نفسه الرحمة) ويقوم الإسلام عقائدياً على الإيمان بالله وبملائكة من غير المادّة يقومون على أمور قوانينه ويسيررون الطبيعة بها وبأنه أنزل كتباً إلى رسل من البشر ليعلموا الناس قوانين الطبيعة ليخضعوا لله من خلالها وأن هناك يوماً تنتهي به الحياة كما نعرفها ويلقى كل شخص جزاءً عادلاً على ما عمل وذلك من تمام غاية خلق الإنسان وهي الرحمة ومن تمام قانون الثنائيات ومن تمام العدل وأن كل ما يحصل في الكون من خير وشر بالنسبة للبشر هو خاضع لقوانين الله التي لا تتغير وهي القدر، وتعاليمه تقوم على 5 أركان وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويسبقها الاغتسال وتطهير الثياب وترك كل مظاهر الشرك والكفر وإقامة الصلاة

التي تصل العبد بالكون كله وبخالقه، ويسبقها الطهارة ولا تجوز الصلاة بغير طهارة، وهي غسل كامل الجسد وتطهير الثياب لمن كان على جنابة كمن جامع زوجته أو استيقظ محتتماً من نومه أو استمنى، وذلك أن الجنابة تصبّ تركيز المرء على الجنس الآخر وبذلك فإن نفسه وطاقتها تتجهان إلى ذلك الشخص، فلا تتم صلاة نفسه بالله حينها، ولأن الجنابة فيها من إحداث الأوساخ والروائح الكريهة على الجسد والملابس ما فيها، وأما من كان طاهراً من الجنابة فعليه الوضوء بغسل يديه ووجهه وذراعيه ومسح رأسه وغسل رجليه، وذلك لمقل تركيزه كاملاً إلى جسده باستخدام الماء، فإن لم يتوفّر الماء الطاهر الملائم للاستخدام البشريّ فعليه أن ينقل تركيزه إلى جسده عن طريق التراب، فيضرب بيديه على التراب ويمسح به رأسه ويديه، وتحتوي الصلاة على تصديقٍ جسديّ لمستويات الإيمان الثلاث: إيمان الوجود، وإيمان القدر، وإيمان التشريع، فتبدأ بالسملة والتكبير وذلك أن المسلم يترك الدنيا وكامل تركيزه وطاقته متكثّف في جسده إثر الوضوء ويتّجه بهذا التركيز في صلاته نحو بيت الله للنّاس “الكعبة” باعتبار أن الدنيا ومشاغلها أصغر والله أكبر، ثم يقرأ الفاتحة “بسم الله الرحمن الرحيم” وهو وسمٌ إلهي يبدأ به المصحف وكلّ السور عدى التوبة، وهو وسم الطمأنينة الذي يذكر المسلم أن كلّ شيء يسير وفق قوانين الله وبوسمه هو فقط. ثم يقرأ “الحمد لله رب العالمين”، فهو الذي له مديح النّقدّيس لأنّه هو من يملك الأمر المطاع “ربّ” في كل الكون “العالمين”. ورغم أنه مالك الأمر المطاع إلا أنه “الرّحمن الرّحيم” فهو لم يخلق الكلّ إلا ليرحم من يختار منهم. ثم يقرأ “مالك يوم الدّين” فهو مالك يوم الحساب، وهناك سيرحم من يرحم ويعاقب من يستحقّ العقاب. ويقرأ “إياك نعبد وإياك نستعين” أي لك نخضع وبخضوعنا هذا نبتغي العون منك فلاحاً في الدنيا ورحمةً في يوم الدّين. “اهدنا الصراط المستقيم” وضّح لنا الأفكار والأقوال والأعمال الصائبة أكثر وأكثر “صراط الذين أنعمت عليهم” أي أقوال وأعمال وأفكار الذين يستحقّون رحمتك “غير المغضوب عليهم” أي أبعدنا عن أعمال وأقوال وأفعال من تغضب عليهم لأنهم عرفوا حقّك وتجاهلوه اتباعاً لأهوائهم، “ولا الضّالّين” أي وأبعدنا عن أفكار وأقوال وأعمال الذين يظنّون أنّهم يسبّرون على صواب ويتجاهلون شكوكهم حولها غروراً وهوى. وبعد الفاتحة يقرأ

المسلم ما تيسّر له من القرآن ليتلقّا كلام ربّه بعد أن فتح عقله بوسم البسملة وعلا أدراج الفاتحة، فيحصل على المعاني التي تزيه ما أغشت الدنيا عليه من عظمة الله، فيكبّر فيركع مندهشاً من عظمة الخالق مردداً 3 مرّات “سبحان ربّي العظيم” والتسبيح هو إطلاق معرفة المسلم عن الله وتحريرها من كل ما يقيدها من صفات مادّية. وعندما يستقرّ التعظيم، يرفع المسلم جذعه قائلاً “سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد” جاعلاً المديح التقديسيّ له فقط. فإذا استقرّ التعظيم والمديح ينزل المسلم أرضاً مكبراً ساجداً لربّه معلناً الخضوع والاستسلام قائلاً “سبحان ربّي الأعلى”. ويقعد من سجده مكبراً قائلاً “اللهم اغفر لي وتب عليّ” إذ يتذكّر تقصيره السابق في الخضوع لله، ويرجع يكمل سجده مكبراً ثم قائلاً “سبحان ربي الأعلى” ثلاثاً، وهكذا تنتهي الرّكعة الواحدة. والصلاة مثاني ركعتان ركعتان جمع ما بينهما التحيات والتّشّهد “التحيات لله والصلوات الطيبات، السلام على النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله”، فيرسل المسلم المحبّة لله والنبي ولنفسه وللعباد الصالحين. وعند انتهاء الصّلاة ذاتها فإنّ ختامها الصلاة على النّبيّ “اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما بارك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد” وذلك لأننا عنه أخذنا طريقة الصّلاة وهذا من قبيل الامتتان إليه. ثمّ التسليم “السلام عليكم ورحمة الله” مرّة عن اليمين ومرّة عن الشّمال وذلك انتقالٌ تدريجي إلى الاندماج في المحيط مرّة أخرى بعد الانفصال عنه أثناء الصّلاة، وبهذا يكون المرء قد نشر طاقته في الكون ووازنه وأعاد توليفها. وفي الإسلام خمس صلوات مكتوبات تضمن إعادة توليفٍ واجبةً للطاقة في كل فترات النشاط اليوميّ، عند ظهور شفق الفجر في آخر الليل ركعتان، وعند انتصاف الشمس ظهراً 4 ركعات، وعند امتداد الظلّ ضعفي طول المرء 4 ركعات، وعند غياب الشّمس 3 ركعات، وعند اسوداد الليل عشاءً 4 ركعات. أما إيتاء الزكاة التي تعني أن حق الملكية للفرد محفوظ ولكن من هذه الملكية نصيب للذين حكم عليهم القدر بالسقوط في حفرة الفقر فتكون وسيلةً لدفعهم فوق نقطتها الحرجة، ونصاب الزكاة لا يمكن تحديده تحديداً مطلقاً، بل إنّ الدّولة

تحدّده بناءً على نوع اقتصادها وحجم الفرق بين الأغنياء والفقراء فيها ومستوى الفقر، لأنّ تحديد النّصاب يحول دون ضمان إنهاء الفقر عن طريق أداء الزّكاة. وصوم رمضان وهو تمرين للإرادة التي هي عضلة تحتاج التمرين يكون عن طريق الامتناع عن الطعام والشراب والتّكاح من طلوع الفجر حتّى غروب الشّمس في أيام شهر رمضان. وحج البيت لمن استطاع ليمرّ بمجموعة من الرموز المعنويّة تساعد في مسيرته نحو الخلاص من سيطرة الشرّ والبؤس (الشيطان) والسير على درب إبراهيم الخليل عليه السلام نبيّ الحنيفية التي هي أساس الإسلام.

ودليل الإسلام هو إعجاز القرآن بالإتيان بسورةٍ من مثله (فإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله) ومعيّار التّحدي هو فيما يجعل السورة سورة، ليست الأوزان الشعرية غير المستعملة، ولا فواصل سجع الكهان، إنها: 1- استخدام أقل عددٍ ممكن من الكلمات، لأن العرب اعتبروا البلاغة في الإيجاز 2- بحيث تعطي نفس الترابط داخل السورة نفسها 3- ونفس المعاني المطلوب إيصالها وبنفس الدقّة في الوصف 4- ونفس العدد من الصور التي تحفزها العبارات في مخيلة القارئ 5- وطبعاً بفضل السجع والأوزان: نفس الانسياب الصوتي. التّحدي هو أن يستطيع شخص أو مجموعة أن يأتوا بإحدى سور القرآن بكلمات وعبارات وجمل مختلفة بنفس المعايير الخمس السابقة فيكون قد كسر الإعجاز. والإعجاز إلى الآن لم يكسر وباب التجربة مفتوح للجميع، وهكذا يكون الاستدلال على أن القرآن ومنه الإسلام لم يأت من عند بشر. ومن خلال نصوصه تعلم أن من أنزله هو خالق هذا الكون.

أما عن فهم القرآن ومعانيه، فإن المعنى الصحيح لأي آية لا يتضارب مع آيةٍ أخرى وهذا في باب المحكم والمتشابه، فهناك آيات واضحة بلغتها وسياقها وهي المحكمة وهناك آيات يتشابه على المرء معناها، وتفسر المتشابهة بالرجوع للمحكمة (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ) ويكون معرفة المعنى عند راسخي العلم والرسوخ هو التثبت في الأرض عن طريق

مد الجذور، والعلماء الراسخون يستقروون معاني ألفاظ القرآن من خلال المقارنة بين موقع اللفظ في الآيات المختلفة وكأنهم يمدون جذورهم في كل القرآن بحثاً عن المعنى فيرسخون، والكون وما نعرف عنه من علوم هو من آيات الله كذلك. ومن الاستقراء كذلك معرفة طبيعة اشتقاق العرب الكلمات من الجذور الثلاثية وهو الاشتقاق الأكبر، وهناك الاشتقاق الأصغر وهو تركيب الحروف في الجذور الثلاثية لتعطي معنى مبنياً على معاني الحروف، فعند أخذ كل الجذور الثلاثية التي تبدأ بحرف الألف مثلاً نلاحظ أن ما يجمعها هو شعورٌ أو تخيلٌ لانتقالٍ مكانيٍّ، أما عندما نأخذ حرف اللام كحرفٍ أوسط فهو يعني الظهور، والميم كحرفٍ أخير فيعني النقي. وعند تركيبها، فهي انتقالٌ وظهورٌ ونفي، وهي الألم، والألم هو النقص في الخلق، وعكسها الملاء وهو الزيادة في الخلق. وهكذا فإن الجذور المتعاكسة لها معانٍ معاكسة لغوياً، ولا يجوز أخذ المعنى الاشتقاقيّ اللغوي وحده وتجاهل المعنى الاصطلاحي المتناقل والذي دوّنته المعاجم اللغوية، ويؤخذ المعنيان بعين الاعتبار. وهكذا فالاستقراء هو أصح منهجٍ للتفسير. فالقرآن وحده بيّن واضح بلسانٍ عربي مبين يفسّر بعضه بعضاً بشرط عدم أخذ أجزاء وترك أجزاء وعدم فهمه بشكلٍ جزئي، فهو لا يحتاج إلى إضافاتٍ ولا كتبٍ أخرى ليؤخذ عنها الإسلام، فكتاب المسلمين الوحيد هو القرآن (أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتَّبَعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) (كِتَابُ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) أيضاً فإن المعنى الصحيح لأي آية لا يتضارب مع حديث نبوي متواتر ولهذا فإن الأحاديث المتواترة تفسر القرآن، وإن حصل تضارب وكان النص القرآني واضحاً، فإن الحديث يهمل، والحديث لا يجوز أن يأتي بزيادة لم تذكر في نص القرآن ولا أن يعطل معنى من معاني القرآن، وإنما فقط أن يشرح ويفصل، كطريقة الصلاة مثلاً، وغيرها من العبادات (فبأي حديثٍ بعد الله وآياته يؤمنون). لأنّ الأحاديث إنما جمعت بعد منّي عام من موت الرسول عليه الصلاة والسلام، فليست محفوظةً كما حفظ القرآن وإن

كان بالتواتر - وهو ما رواه جمع عن جمع عن رسول الله ص - فالتواتر على مدى متني عامٍ قد يحصل فيه تراكم لأخطاء سببها اتجاه سياسي عام، وقد حذر القرآن من هكذا أمور عندما ركّز وكرّر كثيراً ما حصل مع بني إسرائيل (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). والفهم الصحيح للقرآن لا يتضارب أيضاً مع الحقائق الواضحة والقطعية في الكون والطبيعة والإنسان لأن الذي أنزله هو الذي خلقها. وفيما عدى ذلك من السنة الصحيحة والتفسير المنقول والنظريات العلمية غير المثبتة فهو كله خاضعٌ للتشكيك وقابلٌ للمراجعة ولا يؤخذ على أنه صحيح.

7- (التراكم والتطور) وهو في القرآن (الإنشاء) تحدث العمليات في الكون بشكلٍ تدريجيٍّ وحتى الانفجار العنيف السريع يحدث بتسلسلٍ زمني. كل عملية يمكن تقسيمها إلى عمليات أصغر في تسلسلها الزمني لها بداية وأوج ونهاية، وهي نتيجة تأثيرٍ وحدوثها له تأثير. وتراكم عمليةٍ ما باتجاهٍ ما يحدث في النهاية تغييراً في العملية بذلك الاتجاه ويسمى تطوراً، وهذا مثل تأثير السلوك على أفكار الإنسان، فكلما عمل الإنسان عملاً مخالفاً لأفكاره فإنه يترك نقطةً ما في أفكاره من نفس جنسه، وعندما تكثر هذه الأعمال وتصل حدّها الأقصى تزول أفكاره القديمة وتتقلب شخصيته، وهذا حال من انغمس في هواه وشهواته ولم يحرك عقله فيتراكم حبه لعاداته ويغلفه فلا يستطيع التفكير بصفاء (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) (وقالوا قلوبنا في أكنةٍ مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب). فكلّ عملية تبدأ بتغيير كمّي بزيادةٍ أو نقصانٍ يتراكم ويتراكم حتى يصل إلى نقطته الحرجة ثم يتحوّل إلى تغييرٍ نوعي فيتطور إلى شيءٍ مختلف، وعند هذه النقطة الحرجة يحدث ما يسمّى بالفتنة، وهو زوال المكونات الغير فاعلة في العملية وضمورها واختفائها وهو تماماً ما يحدث مثلاً للطلاب الذين لا يفهمون المادّة عند تعريضهم لاختبارٍ مدروس بشكلٍ سليم، أو ما يحدث لمياه المطر عندما تتراكم وتتحوّل إلى سيول ويخرج منها الزبد، وهذا هو بعينه قانون

الانتخاب الطبيعي أو البقاء للأصلح وهو من القوانين الأساسية للطبيعة والقدر وهو نفسه مفهوم الفتنة (فأما الزيد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض). وقد كان بدء الخلق والحياة على الأرض خليةً تكونت في الطين تحت ظروف مناسبة لتكوّن الحمض النووي بقدرٍ من الله وتطورت بالتدرّج لتصل إلى الإنسان فهكذا تشير كل الهياكل العظمية التي كشفها العلماء إلى الآن وهكذا يشير القرآن عندما نحيد الفهم التقليدي العقيم لآياته جانباً (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) فكان الإنسان مخلوقاً بتراكم تطورات الحياة على الأرض (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) ويفسر القرآن وجود الذكر والأنثى في عملية التطور بالولادة بأنها حدوث انقسام لبويضة الجنين الذي تطور، فتكون الأنثى منقسمةً عن الذكر وينتج توأمان أحدهما ذكر والآخر أنثى وهما آدم وحواء (الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً)، وقد سخر الله للإنسان ما في السماء والأرض عن طريق تقدير القوانين الطبيعية الثابتة التي يسهل ملاحظتها وتعلمها من الإنسان العاقل الذي تطور دماغه ليصل إلى حدٍ يستطيع فيه التفكير المجرد، فاستطاع تعلم قوانين الطبيعة وصناعة الأدوات منها (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر) (سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) وبهذا كان أكرم الخلق، فأمر الله الملائكة والذين هم قائمون على أمور الكون وقوانين الطبيعة بالسجود لآدم وهذا من معنى التسخير، أمّا إبليس من الجن وهو رمز العصبية وفورة الدّم والحرائق والبراكين والانفجارات فهي ليست خاضعة للإنسان ولم تسجد له بل قد تؤذيه وهكذا أبى إبليس، وهكذا كلٌّ من يتخذ الاندفاع والتهور والعصبية في قراراته يكون من أتباع الشيطان ولا يهديه الله (وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)، وقد يقول قائل أنّ القرآن يقول أن آدم كان في الجنة في السماء لذكر ذلك في كثير من الآيات (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) ولكن إبليس وسوس لهما بعد أن نفي من السماء، وذلك يدلّ أن جنتهما إنما كانت على الأرض، والأرض في بداية تطوّر البشر كما هم عليه الآن كانت في

العهد المطير بعد العصر الجليدي وكانت جنّة خضراء. وفي هذا بحثٌ يطول ولكن الآيات واضحة في ذلك.

8- (الدوافع) وتقوم هذه الفكرة على أنّ أفكار الإنسان وسلوكه ليست إلاّ تعبيراً عن تجربته المتراكمة منذ الطفولة حول التفاعل بين حاجاته الجسديّة الفطريّة التي بني جسمه على طلبها وبين محيطه المادّي، متأثراً بالإيحاء من سلوك غيره من البشر أيضاً، وبالأفكار التي تعلّمها وتمّ إخضاعه لها بالإجبار أحياناً والعادات التي اكتسبها، والأفكار التي يختار أن يفعلها في أثناء فعله لذلك السلوك. فيكون سلوك المرء محصّلةً لصراع داخلي بين حاجاته الجسدية وعاداته المترسّخة وأفكاره وقوّة المجتمع. هذه الأمور أحياناً تنتج سلوكاً سيئاً طمعاً في شهوةٍ ما، وأحياناً تنتهي عن سلوك سيء خوفاً من عاقبةٍ ما. ولذا فهي أمارّة بالسوء، وهي ذاتها أيضاً نفسٌ لؤامة، وهي ذاتها الضمير، وهي ذاتها الهوى، يتغيّر اسمها بحسب النتيجة التي تخرج عن صراع الدوافع داخلها. (إن النفس لأمارّة بالسوء) (فلا أقسم بالنفس اللؤامة) (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم). والأفكار تتراكم فتتحوّل إلى أفعال، والأفعال تتراكم فتتحوّل إلى عادات، والعادات تتراكم فتتحوّل إلى شخصيّة، والشخصيّة يصدر عنها سلوك مطابق لنوعها بالتفاعل مع الدوافع والمحيط، وتراكم هذا التفاعل هو المصير. فمن أراد أن يغيّر مصيره، عليه أن يبدأ بتغيير أفكاره ويصل إلى تغيير شخصيته (إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم). وباختصار، فإن الدوافع نوعان، دوافع خوف ودوافع طمع، والمؤمنون مثلاً (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً)، وتكون الاستجابة لهذين الدافعين إما بالمواجهة والأخذ بالقوّة، أو بالهروب والتخفي والمكر، ويحدد ذلك أفكار المرء وتراكم سلوكه السابق. ولكنّ سلوك الهروب يؤدّي إلى تراكم مسبّات الدافع وزيادة حدتها في المستقبل، وغالباً ما تكون المواجهة واقتحام صعوبة الموقف هو أفضل ما يمكن فعله.

9- (الطاقة) وهي ما يحرك المادّة وما يشكّلها، وهي قابليّة الحركة والتغيير. الطاقة والمادّة هما ما يشكلان الكون، ومعاً يصنعان المكان والزمان. ومفهوم الطاقة الكامنة لدى البشر مفهومٌ مختلف عن المفهوم الأصلي للطاقة، وهي تعني توزيع

التركيز الذهني الذي بدوره يوزّع طاقة الجسد والدماغ. وهذا أهم ما في مفهوم الطاقة الكامنة، أن الطاقة تتبع التركيز. الطاقة موجودة في الجسد من خلال خلاياه وما يستمدّه من طاقة الماء والغذاء والتنفس. فطريقة وعمق التنفس، ونوعية وتوزيع الغذاء والشراب، وطبيعة الجسم وكميّة تحرّكه ونشاطه اليوميّ، كلها تؤثر في مستوى الطاقة الكامنة.

وللطاقة عدة مستوياتٍ من التركيز، الأدنى وهو في الجسد وهو الأكثر كثافة ويعتمد على حاسة اللمس في تركيزه، وأفضل ما يعززه الغسل بالماء. أما المستوى الأوسط فهو كرةً حول الجسد ذات كثافةٍ متوسطة، تمثل احتمالات حركة أجزاء الجسد وتعتمد على تقدير الذهن للحركات المحتملة والمفاجئة للجسم، وأكثر ما يعززها وجود أجسام معيقة للحركة أو ذات حركة سريعة حول الجسد. أما المستوى الأقصى للطاقة وهو الأضعف كثافةً، فهو يمثل انتشار الطاقة في الفراغ، وينتهي عند آخر سطحٍ يمكن للعين رؤيته، والسماع قد يمدّد هذا المستوى قليلاً حتى انقطاع الصوت.

سيدّ الطاقة هو دوافع الإنسان ونيّته الداخلية وما تراكم بداخله من أفكار وسلوك، وترديد الأفكار والصيغ يرسّخها في الذهن ويزيد من تراكمها، وملاحظة الوقت والأعمال التي تملؤه والتركيز على بعضها والامتناع عن البعض الآخر، كل ذلك يزيد من توجيه الطاقة نحو هذه الأفكار والسلوكيات، فهي تتجه بالطاقة إلى حيث تريد هي. أما المدير المباشر للطاقة والذي يوجّهها لحظياً ويكتفّها ويوزّعها فهو التركيز، والتركيز مرتبطٌ بالسلوك والحواس والتفكير، فالتفكير في شيءٍ ما وتعرّيض الحواس لما يخصّ هذا الشيء وعمل سلوكٍ يرمز له أو يذكر به، كل ذلك يشدّ التركيز إلى الشيء المذكور وبالتالي يكتفّ الطاقة باتجاهه. وهذا هو ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، واستخدام رموزٍ فيه من غير القرآن والدعاء كفر حرّمه القرآن.

وللطاقة ثلاث حالات في تفاعلها مع بعضها، فإما أن تندمج، أو تتنافر، أو تتساير. فعندما تحدث علاقة ما بين شخصين، فإن طاقتهما تندمج. وإذا كانا قد كوّنا ضدّ بعضهما درعاً من الطاقة السلبية فإن طاقتهما عند الاندماج تتضرّر. أما إذا ابتعدا عن الخوض في علاقة متبادلة فإن طاقتهما تتنافر، ويكون بينهما طاقة سلبية لا

يزيلها إلا إيجاد عائق "جدار" يفصل بصرياً وصوتياً بينهما. وإذا كان شخصٌ ما يسير متجهاً نحو هدف ووضع تركيزه فيه، وشخصٌ آخر فعل نفس الشيء فإن طاقتهما تتناغم معاً وتكون كالخيوط الواصلة بين الجسد والهدف، وهذا هو التساير. وكما أن الناس ذكرٌ وأنثى، فكذلك الطاقة ذكورية وأنثوية، والطاقة الذكورية والأنثوية تميلان للتجاذب والاتحاد معاً وتكون الطاقة الذكورية أسرع من الأنثوية في الانجذاب، وعند تعذر ذلك جسدياً وحسيّاً بالحوار والنظر، فإن الطاقة تنقسم بين جسد المرء وبين الآخر فيضعف الإنسان وينهك دون أن يعرف السبب. وذلك أن طاقته تنشتت، والحل لذلك يكون بفصل الذكور عن الإناث إلا إذا كانوا محارم أو حاجة طارئة أو المتزوجون، لأن هؤلاء لا يحول حائلٌ بين اندماجهم معاً بشكلٍ فعليٍّ، وبذلك تكون علاقة طاقتهما معاً علاقة اندماج وليست فقط علاقة تجاذب مرهق. وفي حالة الحاجة الطارئة كالانتقال في الطريق أو في الأسواق أو في المحاضرات العلمية مثلاً، فإن المرأة تحتجب لكي تمنع حواس الرجال من الاندماج بطاقتها، ومن جهتها هي تقضي ما تريد وتذهب قبل أن تبدأ طاقتها بالانجذاب نحو طاقته كونها أبطأ انجذاباً، ولهذا فإن الرجل لم يكلف بالاحتجاب، وكلف هو بالنفقة والمعاملات اليومية وليس لأنه أفضل من المرأة في شيء.

والصوم عن الرغبات بشكلٍ مقصود ينمي لدى الإرادة وهي القدرة على التحكم بالتركيز وبالتالي في توجيه طاقته للذهن والجسد والنفس. وملاحظة طاقة الآخرين والطاقة الذاتية تنمي أيضاً هذه القدرة. والحمية الغذائية السليمة والتمارين الغذائية تزيد من مستويات الطاقة وتزيد من كثافتها.

10- (الصبر واغتنام الفرص) كلٌ عملية تحتاج للتراكم والوقت لتؤتي نتائجها، والحفاظ على عناصرها إلى آخر لحظة إلى أن تبلغ نقطة التحول هو مما تعلمنا إياه الطبيعة، فالتمساح يمكث تحت الماء مثلاً ما يعادل 3 أيام، بسكونٍ تامٍ ينتظر اقتراب فريسته، ولا يتحرك رغم أن جوعه يدفعه للحركة ليصطاد الفريسة، ولكنه ينتظر حتى تمد رقبتها لشرب الماء، ثم ينتفض لينقض على رقبتها بحركة خاطفة (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) والصبر يكون عند

الصدمة الأولى وهو كبت الدوافع الغريزية التي تؤدي إلى ضياع الفرصة من أجل توفيرها إلى الوقت المناسب، والمصابرة هي المداومة على ذلك بعد الصدمة الأولى، والمرابطة هي الحفاظ على حالة التأهب أثناء الصبر لاغتنام الفرصة حال قدومها، وتقوى الله هنا هي فهم قوانينه في الكون والنفوس والمجتمع من خلال كتاب الكون وكتاب القرآن وإطاعة هذه القوانين لكي لا تعمل عكسها فتفشل فيما تسعى إليه.

11- (الدعاء) (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين). والدعاء هو أن يتوجّه المرء إلى قيّوم السماوات والأرض فيخاطبه بشكل مباشر ويركّز طاقته باتجاهه إذ يصفى ذهنه من كل ما سواه، فيطلب منه ما يشاء. والدّعاء لا يغيّر القدر الذي وضعه الله في السماوات والأرض لأن هذا القدر هو الحقّ والأجل المسمّى. ولكنّ الدّعاء يعمل على وجهين، الوجه الأوّل أنّه يؤثّر في كل الكائنات التي تدخل في مدار تحقيق استجابة الدّعاء وخصوصاً قلوب البشر، وخصوصاً قلب الشّخص المؤدّي للدّعاء، فيغيّرها كلّها بالطريقة الأنسب لتحقيق النتيجة، والتأثير يكون بمقدار الحاجة الداخلية في الإنسان لتحقيق الدّعاء، وبمقدار الخشوع ونسيان الحاجة والتّوجه الكامل إلى الله وهذا ما يجعل الدّعاء عبادة، لأنّ المرء يطلب الحاجة، فيخشع، فينسى الحاجة ويسمو إلى وجه الله. والدّعاء وحده لا يكفي، فجزء من العبادة أن يقوم المرء بما يقدر عليه من إعداد لتلقّي الاستجابة، من فهم لقوانين الكون وصناعة واستخدام للأدوات الملائمة والتخطيط والصبر واغتنام الفرص، فهذا كلّه عبادة وخضوع لله. والدّعاء والإعداد معاً اسمهما التّوكّل، أي أن تكلّ أمرك لله، من جانب التأثير على القلوب من جهة، ومن جانب أنّ قوانينه في الكون محفوظة من جهة أخرى.

12- (العدل وحرية الاختيار) الإنسان يمتلك الإرادة الحرة، حرية الترك والانتقاء، ولذلك لا يوجد ما لا يمكن للإنسان تركه، بإمكانك أن تتخلى عن أي شيء حتى حياتك. كما أنّ الإنسان أعطي القدرة على استخدام المادّة بجميع الخيارات الممكنة بقدر ما يملك من علم وأدوات وطاقّة (وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه) ولم يجبره على قراراتٍ معينة بخصوص أفكاره وأعماله بل تركه مخيراً

(لا إكراه في الدين) ولكنّه نبهه إلى عواقب أفعاله ومسؤوليته عنها وحثه على ضرورة الانتباه لسير الوقت إذ قال (والعصر. إنّ الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصّبر) وأعطاهم من الأوامر التي أرسلها لرسله بالحجة الصادقة بما يكفل لهم التعرّف الواضح على طريق العدل والحقّ (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) والإيمان هنا هو طاعة الله في القلب واللسان، أما الصلاة فهي طاعته في أفعال الجسد، أما الزكاة فهي طاعته في الملكية والمعاملات مع الناس. والقمع والعنف والإجبار أصل كل شرّ وهو ينتج عن الخوف من الجديد المجهول والتعصّب للموروث وهو ما كان يلاقيه كل الأنبياء في دعوتهم. وقد أمر الله الناس بالثورة على الظلم والاعتداء فقال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وبشرّ بيومٍ يلاقي كل شخصٍ فيه عواقب عادلة لما يقدّم (يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم. فمن يعمل مثقال حبة خيراً يره. ومن يعمل مثقال حبة شراً يره).

وأخيراً أفكارٌ أساسيّة في فنّ الحياة مستمدّة من الأفكار السابقة:

1- الأفكار والقيم:

- الأفكار: لتكون الأفكار سليمة يجب أن تراعي المسار الطبيعي الذي تسلكه العمليات، وتكون شاملة وقابلة لإعادة الاستخدام في المواقف المختلفة، وتتمتع بالاتساق المنطقي والإمبيريقية (الدليل الحسي التجريبي)، ويمكن تخطئتها.

- الأخلاق: والأخلاق تعني السلوك المفضل بشكلٍ عالمي، وهذا يعني أيضاً أنها إجابةٌ على سؤال (ماذا لو فعل كل الناس ذلك؟). فكرة الأخلاق العلمانية تقوم على عدة أسس تتضمن:

1- الناس عادةً ما يفضلون الحوار والتفاهم بدل العنف، وهذا واضحٌ من كل التجارب

التاريخية واليومية رغم قابلية استخدام العنف واستخدامه فعلاً. 2- العلاقات التبادلية بين الناس تقوم على افتراض أن الطرفين صادقان لا ينويان الغش، وعند وجود الكذب أو الغش فإن العملية تتحول من كونها علاقة تبادلية إلى كونها علاقة اعتداء. 3- قدرة الشخص على تجنب وقوع ضررٍ ما تجعله في موضع المسؤولية حال وقوع هذا الضرر. 4- لكل إنسان الحق في الحياة وحرية الاختيار والقتل والقمع والإجبار واستخدام العنف بكل أنواعه النفسية والجسدية والجنسية والعاطفية هو جريمة ينكرها الإنسان بطبيعته. 5- البادي أظلم.

2- السلوك والتحفيز: وهو يعتمد على الأهداف والخوف والتراكم النفسي.

-الأهداف: بعد فهم نوع شخصية المرء ونوع ذكائه وميوله وإبداعاته الشخصية ومحيطه الاجتماعي الاقتصادي، عليه أن يحدد تصوره لتأثيره في هذا المحيط، ونوع التغير الذي يفرحه إن تمكن من إحداثه، وهذا هو الهدف العام أو رسالة حياة المرء. والهدف من خلق الإنسان هو الاستخلاف في الأرض لعمارتها، بمعنى أن هذا هو المطلوب منه بشكلٍ عام.

-المحاسبة: وهي إنشاء نظامٍ ما لتقييم وقياس مدى الإنجاز والتقدم الذي يحرزه المرء سواء باستخدام نظام إحراز النقاط، أو باستخدام رقابةٍ خارجية مثل صديق جيد.

-التراكم الإيجابي: التفكير السلبي يعيق السلوك الصحيح ويظهر في أوقات التوتر. ممارسة اليوغا والإحياءات الإيجابية مفيدةٌ للتخلص من أثر ما يراكمه المجتمع والتجارب السيئة في عقولنا.

3- تنظيم الوقت:

-تفكيك العمل إلى أجزاء صغيرة يسهل تقدير وقتها وتوزيعها على الأوقات وترتيبها.

-أخذ العمل كتدريب وليس كواجبٍ ثقيلٍ يجب أن تعمله.

-تقسيم اليوم إلى فترات زمنية تتكون من 3 ساعات يساعد في تنظيم الوقت بشكلٍ أفضل.

-لا يوجد شيء اسمه الملل سوى ما نتعلم نحن أثناء تربيته أن نقنع أنفسنا بأنه ممل.

-على المرء أن يقول لا للأعمال التي لن تساعد في الوصول لأهدافه، فقول لا يختصر الكثير من الوقت.

4- التعلّم الذاتي: وهو مهم جداً، لأن التعليم الرسمي لا يفيد سوى كرخصة للعمل في السوق. وهذه النقاط تساعد في ذلك:

-تقسيم الموضوع إلى دروس يومية.

-البحث والتنقيب عن مصادر المعلومات.

-الممارسة والتمرين على استخدام المعلومات الجديدة.

5- الصحة واللياقة:

-الحفاظ على برنامج غذائي صحي.

-الحفاظ على مشاعر إيجابية وحيوية كلها سعادة ونشاط.

-التمرين اليومي للجسم.

-النوم الكافي والمنتظم.

-النظافة الشخصية.

6- المهارات: يجب أن يطور الإنسان مهاراته باستمرار بتعلم مهارات جديدة والتمرّن على استخدام وتطوير المهارات القديمة.

وهذه النصائح للاستزادة من الحكمة...

مارس الرياضة الجادّة يومياً، وعليك بصحنٍ من الفواكه، وعدم الإكثار من اللحوم وكل السمك أسبوعياً، ولا تنم أكثر من سبع ساعات في اليوم، ونم باكراً، ولا تأكل قبل النوم، واشرب خلال النهار كميات كبيرة من السوائل، ولا تشرب القهوة ولا الشاي الأسود، وعليك

بالشاي الأخضر والأعشاب. تنفّس بعمق 3 مرات يومياً وتأمل دائماً بعمق قبل النوم وكرر جملاً إيجابية، ولا تنس تنظيف أسنانك مرتين في اليوم إحداهما قبل النوم، وكن محباً لنفسك وللآخرين وقدم الحب على شكل أفعال وليس فقط شعور.

لا تنتق بأحد ولا بشيء ولكن تأمل الأفضل وبنفس الوقت خطط للأسوأ، وأبق على شكك وفضولك واعلم أنك لا تعلم إلا قليلاً. وما لم تفهم دوافع نفسك فستبقى تتحكم هي بك. سيطر على وقتك بالتخطيط وعلى نفسك بالتدريج وعلى المادّة بالعلم والأدوات، وافهم المنشأ والمكونات وعملية التكوين والمحيط جيداً قبل أن تبدأ بالعمل لتغيير شيء ما. واعلم أن الصحيح هو الذي ينطبق على الواقع بشمول، ويتّسق فلا يناقض بعضه بعضاً، واعلم أن الخلق القويم هو أن تعامل الناس كما تحب أن يعاملوك قبل أن يعاملوك، وأن تعاملهم بمثل ما عاملوك بعد أن يعاملوك، وافهم دوافعهم وأسعد نفسك بمساعدتهم.

والحمد لله رب العالمين